آليات الإقناع اللساني في الخطاب الديني

أ. **طرشي سيدي محمد**
جامعة تلمسان

توطئة

ينبغي ألاّ نتطلع إلى الخطاب في شكله الظاهري فيما إذا كان محادثة أم كتابة، بل يجب أن ننظر بعمق إلى أبعاده وأهدافه.على اعتبار" أن تنوع الخطابات يأتي من تنوع الأهداف والأغراض التي يريد الخطاب أن يحققها. وهكذا فإن الأداء الناجح للخطاب هو ما يريد أن يحققه المتكلم."[1] وهذا لا يمنع من أن يكون هناك أقسام ومصنفات كثيرة تقوم عليها الخطابات. إلاّ أننا سنركز في هذه المداخلة على الخطاب الديني التبشيري كونه خطابا مؤثرا وسيلته الضغط عاطفياً من أجل عملية الإقناع ذلك أن هذا الخطاب يترك عند الآخرين الشعور بالخوف والرغبة للالتجاء إلى العاطفة وترك العقل من أجل تغيير المعتقد .

تجديد الخطاب الديني:الخطاب والمخاطبة لغة:مراجعة الكلام،والخطبة ،الكلام المنثور المسجوع"[2] فالخطاب قد يرادبه الكلام نفسه.أي :المضمون والمحتوى"وقد يراد بالخطاب الطريقة التي يؤدى بها الكلام ،فالتجديد على ذلك : يعني تيسير لغة الخطاب وأسلوبه ،وتقريبه لذهن وفهم الطائفة المستهدفة به،بحيث يخاطب الناس باللغة التي يفهمون بها الكلام "[3] ولتجديد الخطاب الديني، ضوابط تحكمه، تنبع من طبيعة الغايات التي يسعى إليها. وما دام التجديد في هذا السياق، يتناول الخطاب الديني عموماً وفي جميع حقوله،

فإن الغاية منه هي تجويد هذا الخطاب شكلاً ومضموناً، والارتقاء به، وإكسابه مقومات التكيّف مع العصر، من أجل أن يكون أداة لتبليغ الرسالة الإسلامية، ووسيلة لبناء الإنسان الذي يعرف دينه، وينفتح على عصره، ويندمج في محيطه، ويحترم من يخالفه في المعتقد والرأي والموقف وأسلوب الحياة، ويتحاور معه، ولا ينأى بنفسه عنه، أو يتخذ منه عدواً له لمجرد أنه يختلف معه في أمور كثيرة .

أقسام الخطاب

ويقسَّم الخطاب في هويته التكوينية إلى أربعة أقسام. القسم الأول : الواضع لمادة الخطاب. والقسم الثاني: مادة الخطاب. والقسم الثالث: الفاعل والعامل للخطاب. والقسم الرابع: المتلقي للخطاب.

ومن البديهي أن تكون مادة الخطاب مركبةً من: أولاً: اللغة. وثانيا: المحتوى والمضمون. فأما على مستوى اللغة الخطابية: فهو لغة الظهور وإبراز للخطاب في الخارج، ويمكن أن يأخذ له شكلين أساسيَّن ، وهما: الشكل الأول: اللغة الكتبية. والشكل الثاني: اللغة اللسانية ، ونقصد منها ما تعتمد الأفراد والمجتمعات في اختيار نوعية اللغة للتفاهم ، ولا يخلو خطاب من لغة يتوسطها في حال التواصل والحوار. فاللغة عموما هي مجموع المفردات والألفاظ المستعملة، تخضع لتحليل الألفاظ والشكل الثالث: نوع الخطاب ، فهو يتنوع بتنوع أهدافه وأغراضه، فقد يكون عاماً وقد يكون تخصُصياً خاصاً، وهكذا.

وأما على مستوى "المحتوى والمضمون"؛ فهو مجموع معاني الألفاظ والتصورات والرؤى التي تعبر عنها الألفاظ ويعرف بتطابقه مع الخبرة الحية

في الحياة اليومية، وقد يتضمن المعنى مناهج اقتناصه استنباطا من النصوص أو استقراء من الواقع وهو يختلف باختلاف موضوعه. ومستوى طرحه والقسم الثالث: "الفاعل والعامل الخاطب"، وهو الذي يقوم بالعمل والفعل في"مادة الخطاب" ويحاول أن يكشف الجوانب المريدة من قبل واضع مادة الخطاب، أو يستكشف المراد من المادة "المادة"، والقسم الرابع: متلقي الخطاب، فإن المتلقي إما أن يأخذ الخطاب أو يتقبل الفاعل للخطاب أو يصل الحال إلى تقبل الواضع للخطاب أو رفضه، وهذا يعتمد على مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي يحيل إليه الخطاب. وهو الموقف الذي يوجد فيه الداعية، وطبيعة جمهور المتلقي، والظروف الاجتماعية والسياسية المحلية والدولية التي يعيش فيها .

والدعوة إلى الله تعالى بحاجة إلى همة وقوة، وإلى بلاغة وبيان كما هي بحاجة استحداث الوسائل والأساليب الكثيرة،ومن هذا المنطلق يدعو إلى الإسلام بكافة الوسائل والأساليب الممكنة: الحديثة والقديمة من وسائل الدعوة القولية كالخطابة والدرس والندوة والحوار والدعاية والإذاعة والتلفزيون والدعوة الكتابية: كالمجلة وشبكة المعلومات "الانترنت" والكتاب

فرضية الخطاب الديني:

ولتجديد، للخطاب الديني ، ضوابط تحكمه، تنبع من طبيعة الغايات التي يسعى إليها. وما دام التجديد في هذا السياق، يتناول الخطاب الديني عموماً وفي جميع حقوله، فإن الغاية منه هي تجويد هذا الخطاب شكلاً ومضموناً، والارتقاء به، وإكسابه مقومات التكيّف مع

العصر، من أجل أن يكون أداة لتبليغ الرسالة الإسلامية، ووسيلة لبناء الإنسان الذي يعرف دينه، وينفتح على عصره، ويندمج في محيطه، ويحترم من يخالفه في المعتقد والرأي والموقف وأسلوب الحياة، ويتحاور معه، ولا ينأى بنفسه عنه، أو يتخذ منه عدواً له لمجرد أنه يختلف معه في أمور كثيرة

ويفترض في الخطاب الإسلامي ـ أياً كانت وسيلة بثه إلى الجمهور ـ أن يؤسس على مبادئ وقيم من الحق والصدق والخير، ومراعاة الخلفية الثقافية والعقائدية والاجتماعية للمتلقين فضلا عن التزام الوضوح والشفافية في جميع الأحوال والظروف. والسبب في كل ذلك ينبع من وصفه خطاب دعوة وإصلاح يستند إلى التعاليم التي بشر بها الإسلام. كما أنه يقوم على الحقائق ويهدف إلى الإقناع بالحكمة والموعظة الحسنة والبرهان العلمي والدليل المنطقي، فالخطاب الإسلامي يختلف عن غيره، إذ يقوم على الحكمة ومخاطبة الناس بما يفهمونه وما تقبله عقولهم وليس بما يعجزون عن فهمه وإدراكه.

هذه الأوصاف تفرض على الإعلام الإسلامي سواء أكان مقروءاً أم مسموعاً أم مرئياً قوانين والتزامات أخلاقية صارمة لا يمكن الإخلال بها، مثلما تمنحه استحقاقات كبيرة لا يمكن التخلي عنها تحت أي ذريعة كانت. ومن مطالب التجديد المنشود في الخطاب الديني المنقول عبر الأثير ـ خاصة ـ كسر النمطية والتقليدية في الشائعة في معظم الإذاعات بإيجاد برامج اجتماعية وجماهيرية داعية إلى العمل التخصصي والنوعي واستيعاب المتلقي، مع مراعاة تنوع ثقافاتهم وتجنب السلبية والارتجالية والحماس والامتزاج بالآمال والآلام الجماهيرية.

وسائل الإقناع والتأثير في الخطاب الديني للمسلمين

تعريف الإقناع لغة: القُنُوع: السؤال والتذلل، والقَنَاعةُ: الرضا بالقسم، أَقْنَعَهُ الشيء: أي أرضاه، والقنوع بمعنى الرضا، والقَانِعُ: الراضي وفي المثل: "خير الغنى القُنُوعُ، وشر الفقر الخضوع[5] الإقناع اصطلاحاً: تأثير سليم ومقبول على القناعات لتغييرها كلياً أو جزئياً من خلال عرض الحقائق بأدلة مقبولة وواضحة.

والإقناع العقلي: هو إقناع مرغوب فيه لأنه يقوم على الاحترام والتقدير للقيم الإنسانية مانحاً إياها فرصة حقيقية لأن تزن الأمور وتحكم حكماً عادلاً.أما الإقناع العاطفي: فهو إقناع سلبي يقوم على المراوغة والحيلة حين يخاطب الطبيعة الإنسانية، وبهذا لا يعطيها فرصة حقيقية لاتخاذ القرار العادل.

وتهيمن على الخطاب الديني مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية والمكونات البلاغية التي تشكلت وفق النصوص والأنواع التي مثلته وما زالت تمثله في ثقافتنا العربية الإسلامية. فإذا كانت النصوص النموذجية التي جسّدت هذا الخطاب هي القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فإن تاريخ هذه الثقافة أفرز لنا رصيداً غنياً من النصوص التي أوصلت لنا هذا الخطاب سواء، أكانت تنتمي إلى حقول علمية وأنشطة فكرية من قبيل البلاغة وأصول الفقه وعلوم القرآن والتفسير، أم إلى أنواع خطابية من قبيل الوصايا والخطب والمناظرات والأشعار والأدعية والمواعظ والأخبار والرسائل وغيرها.

وينزع الخطاب الديني لاستخدام الكلمات والتسميات، إلى جانب النص المقدس، كأدوات للإقناع، إلا أنه يمكن تعريفه بثلاث طرق مختلفة:

أولاها، لغة تتجاوز مستوى الجملة. والثانية، سلوكيات اللغة المرتبطة بالممارسات الاجتماعية. والثالثة، موضوعة اللغة كنظام للفكر. وتحليل هذا الخطاب، من خلال هذه التعريفات، يتطلب دراسة وتحليلاً عبر واحدة، على الأقل، من هذه الطرق الثلاث، وفي أكثر الأحيان، قد يكون الأمر مهماً لاستخدام جميع التعريفات في آن واحد.

تطوير الخطاب الديني

لا يقتصر التطور على مهمة الوعظ والإرشاد، بل له مهمة أوسع وأشمل من ذلك بكثير، الأمر الذي يقتضى أن تتنوع أساليبه في المجتمع المتحضر تبعًا لتنوع مجالات الحياة حتى يشمل كافة شرائح المجتمع خاصة في تنمية الوعي الديني والقيم الأخلاقية ونبذ التعصب. ولابد لهذا التجديد في الخطاب من آليات تتحقق وتتجسد في الوسائل المرئية حتى تقتنع بها الجماهير وتحدث فيها استمالة إلى فحوى هذا الخطاب التجديدي،والإنسان يميل بطبعه إلى تعريض نفسه للوسائل التي تتفق مع أفكاره ومعتقداته واتجاهاته، وكذلك تجنب الوسائل التي لا تتفق مع توجهاته المسبقة.

إن تجديد الخطاب الديني يعني إحكام بلاغته بما يجعله مطابقا للفطرة الصحيحة،.ذلك أن مفهومه هو عبارة عن رؤى وفكر واجتهادات المسلمين داخل الزمان والمكان، لذا فهو متعدد ومتنوع أو بمعنى آخر هو مجموعة المقولات والتصورات والرؤى التي يطرحها علماء الدين والدعاة والمفكرون إزاء قضايا المجتمع،.والتجديد لا يعني تغييرا في جوهر الدين أو أصوله، إنما يعني إعادته إلى النقاء الذي كان عليه يوم نشأته، حيث الأصالة الفكرية لأركانه وثوابته، أي تجديد الإيمان به والالتزام بتعاليمه الصحيحة، بعيدا عما قد يعتريها

من شوائب، ومن ناحية أخرى يعني تجديد الدين: القدرة على استيعاب مستجدات العصر، وما يحمله من قضايا لم تكن معروفة من قبل، وتحتاج إلى بيان موقف الشريعة منها، ويتم ذلك من خلال الاجتهاد، سواء كان فرديا أو جماعيا.

ومن ملامح الخطاب الإسلامي المعاصر أنه يتميز بسمات عامة هي: الضعف العام في المضمون والمحتوى، والارتجال والعفوية الناتجة عن نقص التخطيط، وضيق الأفق والتركيز على القضايا الطارئة، وأخيرا انعكاس الخلافات الفكرية والثقافية والمذهبية، فضلا عن الصراعات المحلية والإقليمية والدولية، على مجمل الخطاب الإسلامي.

إن تجديد الخطاب الديني هو بالبداية وبالمحصلة النهائية، تجديد لآليات وطرق التواصل التي لا تلائم وتناسب احتياجات المتلقين، في زمن بات فيه للكلمة والصوت والصورة وقع كبير في أساليب تمثل الرسالة المبثوثة. وهو من هنا-أعني التجديد- لا يطال جوهر الفكر أو مكنون النص المقدس. إنه يشتغل على المسالك الناجعة لضمان سريانه وتوصيله للمتلقي بالصيغة المثلى.

وتختلف وسائل الإقناع والتأثير في الخطاب الديني للمسلمين بمقدار إيمانهم والتزامهم بدينهم، فما يؤثر في المسلم الطائع لربه قد لا يؤثر في المسلم العاصي، لأنهما ليسا متقاربين في مقدار الإيمان، مع ملاحظة أن القسمين يشتركان في الكثير من الوسائل التي تؤثر فيهما،

وينصرف والخطاب الديني إلى أشكال الدعوة والإرشاد على وجه الإجمال التي هي ليست خطباً ومواعظ ودروساً يرددها كل من ينهض بهذه المهمة، بل هي في عمقها رسالة تنويرية تهدف إلى بناء العقول

وترشيد السلوك يفترض أن يتصدى لها وينهض بها من يملك مؤهلات وقدرات وإمكانات تجعله عارفاً بمقاصد الإسلام السمحة ومؤثراً في محيطه، ومنفتحاً، في الوقت ذاته، على المتغيرات التي يشهدها العالم، حتى لا يبقى منعزلاً، منكفئاً على ذاته، يخاطب نفسه، ولا يوجّه خطابه إلى الآخرين. ويمكن التمييز بين نوعين من الخطابات:

النوع الأول: الخطاب الديني للمسلمين

ولنأت الآن إلى الوسائل وآليات الإقناع

الوسيلة الأولى: الدعوة بالقدوة

المقصود من الدعوة بالقدوة أولاً: التزام الداعية بما يدعو إليه.وثانياً: أخلاق الداعية التي يتحلى بها في حياته مع نفسه وأهله وأرحامه وجيرانه وسائر المسلمين.

وهذه الوسيلة هي أهم وسائل الإقناع والتأثير في المدعوين من المسلمين الطائعين والعاصين، لأن التزام الداعية بدعوته وتمسكه بأخلاقه أبلغ من بيانه وأسنان أقلامه، فيه القدوة للطائعين، فيزدادون بالتزامه تقرباً إلى الله تعالى، وبأخلاقه يبرأ العليل من المعاصي والآثام، هكذا كان سيدنا وإمامنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه ربه عزّ وجل: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)سورة القلم: 4

فإنّ الداعية الموفق الناجح "هو الذي يهدي إلى الحق بعمله، وإن لم ينطق بكلمة، لأنه مثلٌ حي متحرك للمبادئ التي يعتنقها، وقد شكا الناس في القديم والحديث من دعاة لا يحسنون القول ويسيئون الفعل... لأن تناقض فعلهم وقولهم أخطر شغب يمس قضايا الإيمان ويصيبها في الصميم"[5]

ومن أخطر نتائج مخالفة أفعال وأخلاق الداعية لما يدعو له أنّ المدعوين عادة ما يُحملون هذه المخالفات للدعوة التي يحملها، وقد قال سبحانه منكراً على هذا الصنف من الناس (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ) سورة الصف:2– 3

الوسيلة الثانية: الدعوة بالقول:

وهي أصل الدعوة إلى الله تعالى وتشمل هذه الوسيلة: الخطب والدروس والمحاضرات والندوات والمؤتمرات والحوار والإذاعة والتلفزيون والشريط المسجل. ونحن لن نستطيع أن نتحدث في هذا البحث عن كل هذه الوسائل.. بل سنكتفي بشرح بعض هذه الوسائل، مع ذكر أهم الضوابط العامة للدعوة القولية التي تحكمها جميعاً:

1–الخطبة: هي ما يقوله الخطيب يعظ به الناس "فيذكرهم بالآخرة، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويعالج به أمور حياتهم ومشكلاتهم، ويدفع عنهم الشبهات، وما يعترضهم من تحديات معاصرة"[6]

"والصلة بين الخطبة وحقيقة الدين كالصلة بين سيف المنبر وأسلحة القتال في البر والبحر والجو"[7]

والخطبة الناجحة هي: ذات الموضوع الواحد الجامعة بين العلم وما يتصل بحياة الناس. والتي يجيد فيها الداعية أساليب الخطابة بحسب الموضوع الذي يتناوله أو الحدث والمناسبة التي يتحدث فيها. القصيرة

البليغة لما جاء في الحديث: "إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ؛ فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنْ الْبَيَانِ سِحْرًا"[8]

تعتبر الخطبة من أقوى وسائل التأثير المباشر على المسلمين بما يقوم به الخطيب من تصحيحٍ للمفاهيم والعقائد الباطلة والتذكير بالآخرة، وبما يوجه فيها المدعوين لاجتناب العادات الاجتماعية السيئة، وبما يدفع عنهم بعض الشبهات أو ينبههم إلى خطورة بعض الأفكار والمذاهب الفاسدة.

1. أن يكون القول واضحاً بيناً لا غموض فيه ولا إبهام لأن الغرض منه إيصال المعاني المطلوبة للسامع.

2. أن يحرص الخطيب على انتقاء ألفاظه التي يفهم منها حق وباطل مثل خطاب الله للمؤمنين (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا) سورة البقرة: 104.

3. –أن يتأنى الخطيب في الكلام فلا يسرع بل يتمهل ليفهم السامع."إن على الخطيب أن يمتلك مقومات التحليل وأدوات النقد ليعري الواقع وينفض ماتراكم عليه من غبار،بل ليظهر منابع التشوهفيه حتى إذاماحددها وعددها ،انبرى مع زملائه العلماءلوضع استراتيجية عليا تكفل بأن تعيد لوجه الواقع رونقه وجماله واتساقه"[9]

4–أن يبتعد عن التفاصح والتعاظم والتكلف في حديثه، بل عليه أن يتلطف بالقول لهم لينزع من قلوب المدعوين الشر ويأخذ بأيديهم إلى الخير والحق ويهديهم إلى الرشاد والهداية. مع ضرورة الإشارة أنّ تلطف الخطيب لا يعني النفاق أو المداهنة في الحق.

5. أن يكون الخطيب متواضعاً شفيقاً فلا يستعلي على المدعوين أو يحتقرهم أو يتحداهم بإظهار فضله عليهم.

6. أن يستثير الخطيب في نفوس المدعوين الهمم وينمي فيهم الخصال النبيلة التي فيهم كالشرف مثلاً والنخوة والحلم10

والأناة وطيب الأعراق، وحسن الجوار.﴾

والمفروض أن يكون المرسل لأية رسالة اتصالية على علم وإحاطة بمحتوى تلك الرسالة ، وبمجمل الظروف والتأثيرات التي تحيط بالعملية الاتصالية، وعلى دراية تامة بخصائص الجمهور المستهدف واحتمالات نوع الاستجابة وتفسيرات الرموز التي تنطوي عليها الرسائل الإعلامية ﴿فالموعظة ،وإنكانت تهدف إلى أكبر الانحرافات،لابد أن تتم عبر تحليل الأسباب والنتائج والتبصير بالمخاطر التي تنجر عن الأمراضالمراد علاجها والأوضاع التي يرجى إصلاحها﴾ [1]

إن خطابنا الديني المرسل عبر صفحة الأثير يعاني من مشكلات مضمونية وشكلانية ويحتاج إلى إزالة الضباب عن مكنوناته الديناميكية التي يفترض أن يوفرها له الدين الإسلامي الحنيف بما يمتلكه من اختزالية عالية لجميع شرائع وأدبيات الأديان السابقة. وهذا يستلزم الارتقاء بالخطاب إلى مستوى المسؤولية الدعوية التبليغية الملقاة على عاتق الإسلاميين بوصفهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وفيما يلي بعض النقاط التي تشخص أبرز مواطن الضعف في الخطبة الدينية:

– كثرة استعمال اللغة التراثية أو التخصصية البحتة التي مكانها الدرس والبحث العلمي وليس الإعلام الجماهيري لأنها تخلق غربة اتصالية بين المرسل والمتلقي وبذلك تضعف بل تنعدم الاستجابة المطلوبة.

– أسلوب الإرشاد والوعظ المباشر والاستعلاء في الكلام وطرح الشخصيات والأفكار بطريقة مثالية تبتعد عن الواقع المعاش وهذا يولد إحباطا لدى المتلقي ولا يزرع في قلبه إلا التقديس اللاواعي لرموز وتعاليم الدين ويفرغ التجربة البشرية من محتواها.

– عدم التوازن في كثير مما يعرض من برامج دينية وضآلة العناصر الفنية المستخدمة فيها وبدائية أغلبها وطريقة العرض الكلاسيكية

بيد أن مبالغة الخطيب في تقديم دروس في الوعظ والإرشاد جافة، قد يحرم النص الديني من مبادئه الكبرى في الإصلاح ومقاصده المتضمنة لمبادئ التغيير. بالتالي، فإن مسألة تجديد الخطاب الديني لا تبدو ناجعة أو ذات فاعلية كبرى، لأن المشكلة مازالت قائمة في أصل طريقة التواصل مع النص". أي أن الغرض لن يقضى لو ارتكن إلى الدعوة إلى ضرورة تجديد الدين، وترَك –جانبا– تجديد ما يبنى من خطاب على أساس من فهم له، أو تأويل لمضامينه، أو اجتهاد في تفسير مقاصده وغاياته.

إن اللغة الخطيب يجب أن تكون سليمة، خالية من اللحن، قريبة المعنى من السامع، سهلة المنال، يعرفها جميع طبقات المجتمع، وليس بشرط أن نكرر بعض الأساليب الناجحة، كطريقة بعض الدعاة المشهورين في عالمنا العربي في العصر الحديث.

وغني عن البيان أن ضعف الدعاة في اللغة العربية، وتباينهم في طريقة الأداء، يؤدي إلى النفور من السامعين، وإلى تأخر تجديد الخطاب الديني.

يجب أن ينظر الدعاة إلى اللغة على أنها وسيلة لإيصال الحقائق، أو التعبير عنها، وهذا بالطبع جزء من وظيفتها، وهذا دور اللغة في المجتمع، أداة للتواصل المجتمعي، فهي كما عرفها العلامة ابن جني ت 392 هـ في كتابه "الخصائص": أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم."11 والمجدد عموما يجب أن يعنى بجمال القول، ورقة الأسلوب، وحسن البيان، وبلاغة التعبير، ويراعي مقتضى حال المخاطب؛ لأنه يخاطب ويتعامل مع جميع فئات المجتمع، فلكل مقام مقال – كما قال الحطيئة –، فلا يأتي بالغريب أو الحوشي في كلامه.

فالتقدم العلمي وظهور مصطلحات جديدة يستعملها الإنسان العادي في كلامه اليومي فرض علينا نشوء أسلوب للتفاهم، ولغة بسيطة غير معقدة؛ لأن التفاهم وعرض الفكر يجب أن يكون بأبسط وسائل التعبير اللغوي، ولابد من معرفة النظام الصوتي للعربية، وإتقان مخارج الحروف وصفاتها، عبر دورات في فن الإلقاء .وأما الإشارة فلها دور كبير في إيصال المعنى،.

– فاستخدام الإشارة في الاتصال والتفاهم"12 ومن باب أولى في الخطاب الديني أحيانا أمر مقرر في الواقع عند جميع الأمم، وما أظننا ننسى هنا قول شاعرنا العربي:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشـــارة مذعـور ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم13

وفي القرآن الكريم قَالَ: {آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا} (آل عمران:41)، أي بطريق الإشارة، وفيه – أيضا – في قصة مريم: {فأشارت إليه...} بعد قولها: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا } (مريم:26–29).

لكن استخدام الإشارة من قبل المجدد أو الخطيب في الاتصال والتفاهم لا يتم بصورة واحدة، فقد تستقل الإشارة في بعض الظروف بأداء هذا الدور وتحقيق العملية الاتصالية دون تدخل من وسيلة اللغة المنطوقة أو الكلام، ويجب على المجدد استخدام الإشارة عندما يحول حائل من استخدام وسيلة الكلام، كبعد المسافة مثلا، أو المحافظة على سرية الحديث، أو تحريم النطق بسبب ديني، أو وجود مانع مرضي كما في حالات الصم والبكم.

وقد تكون "الإشارة" مجرد صاحب ومعين للكلام أو للنطق، وهذا أمر عام لا يكاد يخلو منه موقف اتصالي عند فرد من الأفراد، أو جماعة من الجماعات، فمن منا يتحدث في أي موقف من المواقف دون أن يشير بيده، أو برأسه أو بملامح وجهه وتقاطيعه، إن إشارة بإصبع أو إيماءة برأس أو تلويحة بقبضة يد قد تعني لمن يرى الشيء الكثير، وقد تعطيه تفسيرات كثيرة لما يسمع، ويجعله في غاية من الوعي بما تريد توصيله إليه.

وقد أشار الجاحظ إلى أهمية الإشارة ودورها في ذلك، فقال: "فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين وبالحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسوط فيكون ذلك زجرا ومانعا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا، والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون

هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط"[14] ويجب على المجدد أن يراعي حتى "تعبيرات الوجه"، فيبين للناس الكثير عن طريق الإشارة والحركة عموما، ويراعي أن لكل مجتمع إشاراته وحركاته المعروفة، ولعلنا نذكّر باستخدام القرآن الكريم لكثير من الحركة الجسمية كاليد والوجه وغيرهما، واستخدامه "صلى الله عليه وسلم" الحركة الجسمية في إيصال المعنى. ولابد في حال استخدام اللغة لإيصال الأمر المراد تجديده من صوغ الأفكار والأطروحات التي يراد عرضها في قوالب لغوية، ونظام تركيب للجملة بسيط جدا، يراعى فيه الدلالة النحوية (علم المعاني) أي أحوال المتلقي والمخاطب.

وأخيرا ،ثمة ظاهرة جديرة بالتمييز ألا وهي مخاطبة المجتمع باللهجة التي يعرفها في غير المنابر الرسمية، ونعني باللهجة –كما عرفها د. إبراهيم أنيس في "اللهجات العربية": "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة"[15] وأهم شيء هو الفهم الذي يترتب على استخدام هذه اللهجة وهو متوقف على قدر الرابطة التي تربط هذه اللهجات.

– الوسيلة الثالثة: الدعوة بالكتابة:

2– **الدرس والمحاضرة والندوة والحوار**: الخطبة لا تتسع للإسهاب في القضايا التي تطرح فيها لضيق وقتها، لأن الأصل في الخطبة أن تكون قصيرة، وهنا تأتي أهمية الدروس والمحاضرات والندوات.

– الدروس: أهم أهدافها: تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، وحضهم على الطاعة، ودعوتهم للإقلاع عن المعصية. وعادة ما تتناول الدروس فرعاً من فروع الشريعة الإسلامية وعلومها، كالتفسير أو الفقه أو الحديث، أو مسائل في العقيدة، أو في السيرة النبوية...الخ ويقوم الداعية على شرحها بإسهاب.

أما دروس الترغيب والترهيب فليس لها وقت محدد بل يتخير فيها الداعية الوقت المناسب أو الحدث المناسب، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا" قال ابن حجر: "المعنى كان يراعي الأوقات في تذكيرنا, ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نملّ"[15]

– والمحاضرة: تتناول موضوعاً معيناً يُعِد فيه المحاضر المكلف بها إعداداً علمياً موثقاً، لتحقيق هدف أو أهداف معينة ومحددة بأسلوب علمي عقلي بعيد عن العاطفة، تحتشد فيه الأدلة والبراهين والمناقشات والنتائج. وعلى الداعية أن يراعي في محاضرته مستوى وقدرات الحاضرين العقلية والثقافية، فلا يخاطبهم بما لا تحتمله عقولهم وثقافتهم يقول عَلِيٌّ بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ"[16]

– والندوة: مجموعة من المحاضرين – اثنان فأكثر – يتناولون موضوعاً واحداً، يشرحون جوانبه المختلفة، مع فتح باب المناقشة والحوار مع الحضور من المدعوين، بالرد على أسئلتهم، وتوضيح ما اشتبه عليهم، والاستفادة من آرائهم.

– الحوار: ربما تتعلق شبهة بقلوب بعض المسلمين نتيجة التباس معنى آية أو حديث عليهم، أو بسبب إلحاح الشهوات والمعاصي أو نتيجة بعض الأفكار التي ينشرها الضالون في المجتمع، فيحتاج حينها هذا المسلم إلى داعية يأخذ بيده، يحاوره بشكل فردي برفق ولين، ويزيل عنه الشبهات ويبين له طريق الهدى والرشاد، وقد يكون الحوار بسبب الاختلاف في النظر في التعامل مع قضية ما من قضايا الأمة.

3–الدعوة بالكتابة

وتشمل هذه الوسيلة كافة وسائل الكتابة من الكتاب والمجلة والمقال والبحث والنشرة والمطوية وشبكة المعلومات "الانترنت" وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الرسائل الملوك والأمراء وغيرهم "[17]

تنبيه: أولاً: تعالج وسائل القول ووسائل الكتابة في الخطاب الديني للمسلمين ذات المواضيع العقائدية والعبادات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تعالج القضايا الإسلامية المعاصرة من مستجدات وأفكار وعقائد، وأمراض اجتماعية، وأن كلا الوسيلتين متكاملتان، فما تطرحه الخطبة من مواضيع تستكملها الدروس والمحاضرات والندوات أو الحوارات، والمجلة والبحث والنشرة... وهي بشكل أدق وأوسع في الكتاب، فكلها تتعاون في إقناع المسلمين والتأثير إيجابياً عليهم.

ثانياً: نذكر أنّ الداعية يحتاج في وسائل الدعوة القولية والكتابية أن يستشهد بالشعر، وأن يستدعي القصة والمثل فإنّ لذلك أثراً بالغًا في نفوس المدعوين، كما أن فيهما العبر الكثيرة وقد جاءا بكثرة في القرآن الكريم:

كقصص الأمم السابقة والأنبياء، والأمثال: مثل قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) الآية البقرة 26

وفي السنة النبوية المشرفة قصص كثيرة: كقصة أصحاب الغار وقصة أصحاب الأخدود"[18]

ومن أهداف القصة والمثل:

1. توضيح الحق وتعرية الباطل.
2. استخلاص سنن الله تعالى في الكون والحياة والإنسان، وأخذ العبرة من الأحداث التاريخية وما فيها من نصر أو هزيمة أو محق للباطل، مع ربط هذه الأحداث بالحاضر.
3. التحذير من عاقبة كفر النعمة وبطر المعيشة وسيطرة الأهواء والشهوات والركون إلى الأرض.
4. تقريب الحقائق الغيبية للأذهان.
5. تصوير الحقائق الإيمانية المجردة بصورة محسوسة ليكون أقوى في إقناع النفس بها وأبلغ في التأثير."[19]

مشكلات الخطاب الديني

– عدم شمولية الخطاب وحصر الإسلام في زوايا محدودة وضيقة وعدم الانفتاح على الآخر ومشاركته في الأمور العمومية أدى إلى ضمور التأثير وبقيت العملية الاتصالية في طور الإثارة والاستفزاز.

– تشتت الخطاب وتعدد قنواته بتأثير الطائفية والمذهبية والحزبية والنمط السياسي القائم في هذه البلاد وتلك أوقع الجمهور المتلقي في خلط مفاهيمي كبير وتشويش فكري وحالة من الإيهام المعرفي.

–طغيان لغة الفرض والترهيب وغياب الترغيب كمعادل موضوعي أفقد الخطاب الديني القدرة على الوصول الآمن إلى عقل وقلب الجمهور الهدف فضلا عن تسيد الموقف.

– الازدواجية التي تعيشها وسائل الإعلام وخشيتها من الإسلام وبروز تقابلية (الديني واللاديني) في معظم البرامج التي تبثها أدى توهين الخطاب الديني والنظر إليه بموازاة أو مجاراة الخطاب اللاديني.

– انحسار الفترة الدينية في أغلب المناهج الإذاعية وصغر مساحة البرامج ذات الصبغة الدينية قياساً بالبرامج الترفيهية والفترات المنوعة دفع بالجمهور إلى الانصراف عن متابعة الخطاب الديني من خلال تلك المحطات الإذاعية.

هذه هي أبرز المشكلات التي يعانيها الخطاب الديني الحالي وللخروج منها بحلول عملية نقترح النقاط التالية:

أهم المقترحات التي تساعد على إنهاض الخطاب الديني

– تفعيل دور أجهزة الإعلام الإسلامي في التصدي للحملة الغربية التي تستهدف النيل من الإسلام وتشويه صورته أو عزله عن الحياة المعاصرة.

– إنشاء مرصد إسلامي إعلامي عالمي أو شبكة معلومات متعددة الفروع في الدول الغربية للدفاع عن الإسلام وقضاياه، وتقديمه في أفضل صورة.

– زيادة مساحة البرامج الإسلامية في أجهزة الإعلام، وأن يتم تقديمها في أوقات مناسبة تمثل الذروة بالنسبة لحضّار تلك البرامج ومستمعيها.

– اختزال أصول الشريعة والعقيدة في الخطاب الديني الإعلامي وتقديم الوجه الحقيقي للإسلام الحضاري والمدني.

– توحيد الجهود الإسلامية لمواجهة المد الثقافي الغربي وكشف مراميه الحقيقية من وراء العولمة.

– إعداد منظومة متشابكة من الآليات تبدأ بإنشاء مركز إسلامي عالمي تتعد فروعه في الدول الغربية.

– إيجاد خطاب عام وخاص في الوقت نفسه تبعا لتنوع جمهور المتلقين للخطاب الإسلامي مع مراعاة خصائصه في أن يقوم على الشفقة والرحمة واللين ووزن الأمور بالميزان الصحيح وأخذ الناس بالتدرج باعتبار ذلك سنة شرعية.

– أهمية أن يتوفر صاحب الخطاب أو القائم بالاتصال المعرفة الكافية بالموازين الشرعية وحسن اختيار الموضوع والأسلوب المؤثر والمنهج الوسطي المعتدل فضلا عن المؤهلات الشخصية الأخرى والإحاطة التامة بالعملية الاتصالية والظروف المحيطة بها.

– استحداث ساعات بث باللهجات الأجنبية لكي يستطيع من خلالها مخاطبة الآخر والتعريف بالإسلام على حقيقته، ومراعاة زمان ومكان وظروف المخاطبين، وتحديث الخطاب وتجديده بما يعكس عالمية الدعوة الإسلامية، وأنه خارج حدود الإقليمية والعرقية.

– التوفيق بين ثوابت الدين ولغة العصر والاتفاق على تصور مشترك لهذا الخطاب الديني المواكب لقضايا العصر ومستجداته.

– كسر القوالب التقليدية وإنتاج البرامج التفاعلية مع الجمهور والإصغاء لمطالبهم وعدم إغفال حقهم في التعبير عن القضايا التي تواجههم مع التركيز على العامل النفسي وعدم الإفراط باستخدام أساليب البرهنة العقلية والآلية الجامدة.

مرتكزات تجديد الخطاب الإسلامي المباشر :

-تربية الجماهير على الاهتمام بأمر المسلمين في العالم كله.

-التركيز على ما يجمع الشمل ويؤكد الوحدة بين أبناء الأمة

-توظيف الأحداث الجارية لتوجيه الرأي العام لإصلاح الأمة

-توحيد الخطاب في القضايا الكبرى منعا للتشتت والتنازع

-ترتيب الأولويات في الخطاب استفادة من فقه الأولويات.

ومن أهم السمات التجديدية للخطاب الإسلامي المباشر: التكامل، والتوازن، وترتيب الأفكار، والمشاركة، والرفق، والكياسة، والمناقشة، والجاذبية في العرض، وغيرها ، أما وسائل الخطاب الإسلامي غير المباشرة فأهمها: وسائل الإعلام الجماهيرية، ووسائل الاتصال الإلكترونية من خلال شبكة الإنترنت.

النوع الثاني: الخطاب الديني لغير المسلمين

يتوجه الإسلام بخطابه الديني إلى جميع الناس سواء كانوا أهل كتاب أو مشركين أو منكرين وغيرهم، هادفاً للآتي:

1. دعوة الناس إلى عبادة الله وتوحيده وتنزيهه عن الشركاء والأنداد مثاله قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ*الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)سورة البقرة21–22

2- تحذير الناس من البغي والشرك بالله مثاله قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)سورة يونس: 23

3.- دعوة الناس إلى تقوى الله وتخويفهم من أهوال يوم القيامة قال تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) سورة الحج: 1

4.-البرهنة للناس أن البعث آت لا ريب فيه (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)الحج:5

وسائل الإقناع والتأثير في الخطاب الديني لغير المسلمين

الإسلام دين عالمي أنزله الله تعالى للناس كافة، لهذا أُمر المسلمون أن يبلغوا به كل من استطاعوا أن يبلغوه بكافة الوسائل المشروعة عبر الحوار والمجادلة أو الكتاب والمجلة والمقالة أو وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتلفزيون وصحافة وشبكة معلومات "انترنت" وهاتف وشريط تسجيل أو فيديو...الخ وسواء كانوا أهل الكتاب أو مشركين أو ملحدين. فقال تعالى آمراً نبيه عليه الصلاة والسلام: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) المائدة67، وأمر عباده المؤمنين فقال: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)

التوبة6. كما ذكر سبحانه صفات المجتمع المسلم فقال: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ) آل عمران110. ومنْ أهم وسائل الإقناع والتأثير في خطاب غير المسلمين:

الوسيلة الأولى: الدعوة بالخلق الحسن:

أكثر الشعوب التي فتح بلادَها المسلمون تحولت إلى الإسلام طواعية، دون تسجيل حالة إكراه واحدة على الدخول فيه، بل إن هذه الأمم التي دخلت هذا الدين رأيناها تسابق أهله الذين حملوه إليهم في ميادين العلم والفضل، إذ تركوا لغاتهم التي كانوا عليها وتعلموا اللغة العربية – لغة القرآن – ثم تعلموا العلوم وعلموها الناس فكان منهم اللغوي والمحدث والفقيه والمفسر والطبيب .. فكانوا في الخير والعلم قادة. وما كان ذلك كله إلا بفضل أخلاق هؤلاء الفاتحين الجدد وما تحلوا به من صفات العدل والفضيلة والأمانة والوفاء والصدق والعفاف والاجتهاد ....الخ. وهم في ذلك متأسون برسول الله صلى الله عليه وسلم (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب:21. وهو صاحب الخلق القويم؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ ... فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ"20 وقد أسر المسلمون عدواً لدوداً، له معهم ثارات وبغض شديد كان زعيماً لبني حنيفة يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَال فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ يومين أو ثلاثة وإذا بصاحب الأخلاق العظيمة يقول: "أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ" وفي رواية: قال له: "قد عفوت عنك يا ثمامة وأعتقتك" فَانْطَلَقَ ثمامة إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ

دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ. وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ.وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ "[21] قال ابن حجر: "في قصة ثمامة من الفوائد: أن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب"[22]

وقد أمر الله سبحانه الأنبياء بدعوة الناس إلى دينه بالكلمة الطيبة والخلق القويم مع الصبر عليهم قال سبحانه آمراً موسى وأخيه عليهما السلام: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)سورة

الوسيلة الثانية: الدعوة بالقول:

وتشتمل هذه الوسيلة على الحوار والجدل والمناظرة، والإذاعة والتلفزيون:

الحوار والجدل: يطلق لفظ الحوار غالباً على الجدل الذي يكون بين أهل الدين الواحد، الذين يختلفون في بعض المسائل الدينية أو بسبب بعض الشبهات، أو فيما يخص قضايا الأمة بشكل خاص والعالم من حولهم بشكل عام، فيتحاورون للوصول إلى ما يرونه صواباً.

أما الجدل فغالباً ما يطلق على ما يكون من الصراع الفكري والعقائدي بين أصحاب الأديان المختلفة، الذين يتناظرون بينهم في العقيدة، أو في النبوة، أو في صحة هذا الدين أو ذاك؟ أين نقاط الالتقاء والاختلاف بين هذين الدينين – هذا إن كانوا أهل كتاب – أما إن كانوا مشركين أو منكرين

فالغالب أن يكون الجدل حول أصل الدين، وعقيدة البعث والجزاء وأركان الإيمان...الخ.

والقرآن الكريم والسنة النبوية فيهما الحوار الإسلامي الداخلي، وفيهما كذلك مساحة كبيرة لمناقشة أهل الكتاب أو المشركين والمنكرين فيما يعتقدون أو يدعون في مجالي العقيدة والشريعة، والهدف واضح – قد ذكرناه في أهداف الخطاب القرآني لغير المسلمين. بمعنى آخر: الجدل في الإسلام هو طريقة ووسيلة للتأثير على غير المسلمين وإقناعهم بأن هذا الدين هو خاتمة الرسالات السماوية أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين وأنّ البعث حق، وأن الجنّة والنّار حقٌ، وأنّ الله تعالى هو الحق وأنه صاحب الأمر والنهي والحكم في عباده في ملكوته ويوم يقوم الأشهاد، لا معبود سواه.

فالجدال تعبير عن الصراع الفكري بين العقائد المختلفة، كل منها يبحث عما يؤيد صدق ما يعتقده، وزيف ما عند الآخرين. والأصل في الجدال أن يكون بهدف الوصول إلى الحق والصواب، لا أن "يتحول إلى صناعة قد يقصدها الكثيرون لذاتها، من أجل التدرب على الأخذ والرد، والهجوم والدفاع في مجالات الصراع الفكري... ليعطل قوة خصمه، لا ليوصله إلى الحقيقة، أو ليصل معه إلى قناعة"[23]

وإشارة إلى هذا الأمر وجهنا الإسلام إلى الجدال الذي له ثمرة مرجوة، ونهانا في ذات الوقت عن الجدال العقيم كما في قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ النحل: 125 والمقصود مجادلة أهل الكتاب كما في قوله تعالى: (وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) العنكبوت: 46.. ومن السنة المشرفة نقرأ في ثنايا الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا" فالمراء هو الجدل العقيم الذي لا ينتفع به.

ولذلك فإنّ الداعية المسلم قبل أن يشرع في مجادلة أهل الكتاب أو غيرهم عليه أن يحدد الهدف الذي على أساسه يقوم الحوار، حتى يتحقق الغاية المثمرة منه باقتناع المدعو بما ندعوه إليه أوالتأثير عليه فكرياً..

ماذا يريد الداعية من الحوار؛ وما هدفه؟ وما النقطة التي سينطلق منها في الحوار، وإلى أي نقطة يريد الوصول إليها؟

الشخصية أو المجموعة التي تريد مناظرتها: هل هم جادون فعلاً للوصول إلى الحقيقة وصادقون، وإن كانوا ليسوا كذلك، فهل الجمهور الذي سيشهد هذه المناظرة، هل يمكن التأثير على قناعاتهم بشكل إيجابيٍ؟

والداعية المسلم عليه أن يتسلح بأخلاق الإسلام حتى يكون مؤثراً مقنعاً، فلا يجوز له الاستخفاف بمن يناظره أو احتقاره، ولا يلجأ إلى أسلوب التجريح الشخصي أو الإساءة للآخرين، وعليه ألا ينفعل، مستهدياً في ذلك بقول رب العالمين لعباده المؤمنين (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) الإسراء: 53

وأمر سبحانه نبيه موسى مخاطبة فرعون باللين فقال: (فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)طه: 44.

وعلى الداعية أن يخاطب في مناقشته العقل ويراعي التسلسل في الحوار، مع دعوة خصمه للاتفاق على مبادئ أساسية وعامة قبل الحوار حتى يساعده ذلك على الانتهاء سريعاً من الحوار والخروج بنتائج مرضية.

هذا هدي النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي ما كان يزيده جهل الكافرين عليه إلا حلماً، لا يسب ولا يشتم ولا يجرح مخالفيه، ويناقشهم ويصبر عليهم، انظر كيف استقبل وفد نصارى نجران في المسجد ومجادلتهم له وصلاتهم في داخل المسجد إلى قبلتهم، إلى أن دعاهم للمباهلة، أو للاتفاق على أساس يقبله الجميع وانظر دعوته لليهود وجدالهم العقيم له، ولما أقر له يهوديان بالنبوة دعاهما إلى الإسلام فخافا أن تقتلهما يهود وقد حاور عدي بن حاتم حتى أسلم"

وفي القرآن الكريم الكثير من مناظرات الأنبياء لأقوامهم مثل مناظرة إبراهيم عليه السلام لأهله وللنمرود، ومناظرة شعيب عليه السلام لقومه.

ولا بأس أن يستعين الداعية في معرض تأثيره على غير المسلمين بقصص الأمم السابقة ولقد أكثر القرآن الكريم من القصص وضرب المثل لما في التاريخ من دروس وعبر وعظات لها تأثيرها الكبير على النفوس – انظر فوائد المثل والقصة في القرآن، وكان الدعاة من قبل ينذرون أقوامهم بما حدث للأمم من قبلهم مثل مؤمن آل فرعون: (يَاقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاّ سَبِيلَ الرَّشَادِ* وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ)سورة غافر: 28 ـ 31.

الإذاعة والتلفزيون:

إن التنوع في أساليب تناول الموضوعات وطرح الأفكار وتلوينها ورفدها بالصور من شأنه أن يضفي على الخطاب حيوية ويحظى بمقبولية عالية لدى المتلقي والشمولية تمنح العملية الاتصالية برمتها النفوذ إلى أقصى زوايا التأثير لدى الجمهور وتضمن اتساع نطاقها وانتشارها وبالتالي تلقي التغذية المرتجعة مما يزيد العمل الإذاعي خاصة القوة على كسب الرأي العام وخطب وده.

أما التجدد وعصرنة الخطاب فلا غنى ولا سبيل للتخلي عنها لأنها تمنح الديناميكية اللازمة لكل خطاب. ولو بقي الخطاب الإسلامي المنقول من خلال الإذاعة السمعية يعيش على سجيته الحالية ويتعاطى المفردات التراثية التي وردت على ألسنة الخطباء في القرون الأولى لظهور حركة الإسلام فإنه سيفقد الكثير الكثير ولن يتخلص من أزمته ولو بقي يعزف على ذات الوتر فإنه سيتحول إلى مادة متحفية ربما تبهر نوعاً خاصاً من الجمهور ولا تستهوي أحداً إلا بمقدار الوقوف للتفرج وإمعان النظر في قدم تلك المادة ودقة صنعها ليس غير.

وتعد وسائل الإعلام، وخاصة المرئية منها، من أنجح الوسائل التي تكفل انتشارًا أوسع لهذا الخطاب عبر مختلف شرائح المجتمع.. فالإعلام المرئي وسيلة من وسائل الاتصال تعتمد على الصوت والصورة في آن واحد، وبذلك تكون قد جمعت بين خواص الإذاعة المسموعة وخواص الوسائل المرئية.. فالتليفزيون يجمع بين الصوت والصورة والحركة وينقل الأحداث فوريًا، ويسمح للذين يتعلمون باستعمال أكثر من وسيلة يتم

نقلها، ويعرض على المشاهد الصور والأحداث الواقعية، وإخراج أساليب عرض لإثارة المشاهد وجذبه للشاشة.

كما أن هناك أهمية قصوى في الوسائل المرئية لتأثيرها في الحياة الاجتماعية، خاصة أن الإنسان يحصل علي أكثر من 90٪ من معرفته عن طريق حاستي السمع والبصر، والغالبية من هذه النسبة عن طريق الرؤية، وهذه الوسائل المرئية تستحوذ على اهتمام كامل من جانب الناس أكثر من أية وسيلة أخرى وتأتي في آخرها الصحف المقروءة.

وإذا كان نجاح الخطاب الديني التجديدي مرهونا بالنظر إلى قضايا الناس على المحيط الداخلي أو المحلي داخل الدولة أو داخل الدول العربية أو الإسلامية، إلا أن عالمية الإسلام كدين والتي تمثلت في قوله تعالى لرسوله الكريم "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" تحتم علينا عولمة الخطاب الديني لكي يصل إلى العالم كله، لكي يعكس وسطية الإسلام وبعده عن التطرف والغلو .والإذاعة والتلفزيون ، من الوسائل الهامة في وقتنا المعاصر إذ يستطيع الداعية أن يبلغ بصوته وصورته إلى بلاد من العسير عليه أن يبلغها إلا بشق النفوس، ويستطيع أن يخاطب جميع الطوائف والجماعات البشرية، وأن يوضح لهم أصول العقيدة وأخلاق الإسلام، ومعاني القرآن.. غير أن على المسلمين أن يجيدوا استخدام المحطات الإذاعية والتلفزيونية للوصول إلى جميع الناس، وعلى المسلمين كذلك أن يخاطبوا الناس بلغاتهم كل ذلك حتى يعذروا أمام ربهم عزّ وجل بأنهم فعلوا وسعهم في تبليغ دعوة الله تعالى؛ من خلال الكلمة الطيبة والأنشودة وحتى التمثيلية الهادفة التي أعدت إعداداً جيداً، إذ لا يشك راشد معاصر اليوم ما لوسائل الإعلام عامة والإذاعة

والتلفزيون بشكل خاص من أثر بالغ على قناعات الناس وسلوكهم وأخلاقهم بل وطريقة حياتهم مما هو واقع مشاهد.

وقد نضيف إلى ما تقدم من وسائل قولية أخرى مؤثرة مثل شريط الفيديو والشريط المسجل..ومن هنا، فإن ثمة خطوات جادة يجب أن نتخذها إن أردنا أن نوجد آليات فعالة لنشر خطاب ديني عالمي مستنير، ومن بين هذه الآليات:

أولًا: إنشاء قناة فضائية دينية إسلامية تعكس قيم الإسلام الوسطي المعتدل، وتنطق بلغات عدة للوصول إلى شعوب الأرض الذين ينتمون لأجناسٍ شتى ولغات عديدة.

ثانيا: تدشين مواقع وبوابات دينية إسلامية على شبكة الإنترنت تروج لخطاب إسلامي مستنير يتفق مع طبيعة المجتمعات الغربية والمسلمين الذين يقطنون..

ثالثا: توظيف شبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر ويوتيوب في بث خطاب إسلامي عولمي مستنير يبرز تسامح الإسلام ووسطيته واعتداله.

ومن ثم وجب ضرورة صياغة خطاب ديني يثمن الثابت المشترك، يتجاوز على المختلف بشأنه، ويحاصر منابع الخطاب المتشدد، المرتكز على التأويل الجاف لمنطوق الدين والقراءة المتزمتة لروحه

وتركز البرامج العصرية على المشاركة والتبادلية بين الجمهور والمتكلم عبر الإذاعة وتقوم هذه العملية على أساس من الاحترام والتقدير المتبادل أيضا.

الوسيلة الثالثة: الدعوة بالكتابة:

أهم أساليب الدعوة الكتابية اليوم الكتاب والمقال والمجلة وشبكة المعلومات "الانترنت".

الكتاب: يستطيع فيه الداعية أن يتناول مواضيع الإسلام المختلفة بشكل مفصل مع ذكر الأدلة ومناقشتها، وشبهات المبطلين على الإسلام وبيانها والردود عليها، كما يستطيع الكتاب أن يبرز معالم الإسلام وهديه في جوانبه العقائدية والتشريعية والأخلاقية والاجتماعية، والسياسية وفي العبادات ... الخ الأمر الذي يجعل الكتاب من الوسائل الدعوية المؤثرة

والمقال والمجلة والنشرة الموجهة يتناول فيها الداعية موضوعاً من مواضيع الإسلام المختلفة ليبينه للناس، أو ليوضح بعض معالمه التي تهم جمهور المخاطبين. وقد استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسائل وسيلة لتبليغ الدعوة إلى الإسلامية لكسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس والبحرين وعمان...الخ "[25] وهي وسيلة استخدمها سليمان عليه السلام في بلقيس ورعيتها إلى الإسلام إذ قال للهدهد: (اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) النمل: 28.

أما شبكة المعلومات فلها شأن عظيم لو أحسن الداعية استخدامها في مخاطبة كل الناس إذ يستطيع وهو في بيته اليوم أن يتحدث مع كل الأجناس البشرية، وأن يناقشهم، وأن يدعوهم ويرد على أسئلتهم، مما يؤدي إلى التأثير فيهم؛ خاصة إذا علمنا أن غالبية جمهور شبكة المعلومات هم من فئة الشباب الذين يتميزون دائماً بتقبل الرأي الآخر والتأثر به إلى حد الاقتناع إن وجد الكلمة الطيبة والهادفة البعيدة عن التشنج والعصبية مع الأسلوب العلمي الرصين.

خلاصة

توجد برامج ذات مضامين ثقافية ودينية عالية، ولكنها تحتاج إلى تجديد على مستوى الأسلوب والشكل. لأن القوالب الكلاسيكية القديمة لم تعد تلبي احتياجات الجمهور وتجتذب شرائحه المتعددة إلى ما تطرحه الإذاعات الإسلامية بل إن العديد من البرامج الدينية التي اعتادت تبثها الإذاعات الإسلامية العامة والمتخصصة على حد سواء أخذت تعد من مولدات الملل والرتابة وصار بعض البرامج المقدمة بهذه الطرق الرتيبة تنفر الجمهور من الإذاعة وهذا هو الفشل المركب الذي قد يصيب الخطاب الديني ويشل حركته ويفقده مزية التأثير والفاعلية.

وإلى جانب ذلك نجد أيضا تركيز البرامج الإذاعية عموما على قضايا الصراع الديني والمذهبي وتجنح في كثير من الأحيان إلى ممارسة الدور الدعائي لجهات وجماعات وشخصيات دينية أو مذهبية متجاهلة ما يحتاج إليه الجمهور من حقائق وأفكار ومعلومات وقيم معرفية وحضارية ومتناسية الطبيعة العالمية التي يتمتع بها الإسلام مما يحصر الخطاب الديني الإسلامي في أطر ضيقة ومحدودة تعزله عن الساحة الفكرية عزلا شبه تام ٍومن دون مسوغ. وغير ذلك من أساسيات العمل الإعلامي.

هوامش البحث

1- مازن الوعر ،تقنيات الخطاب المقنع والخطاب العادي ، ،مقال على الشبكة العنكبوتية، http://www.startimes.com

2- ينظر لسان العرب ،مادة خطب1/ 361

3 - محمد بن شاكر الشريف،تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف،مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض ،الطبعة الأولى 2004 ص28

4 - ينظر لسان العرب ،مادة قنع ،8/ 298، ومختار الصحاح 1/ 231.

5- الشيخ الغزالي ،دراسات في الدعوة والدعاة ص 234.

6- محمد الغزالي ،الخطابة وأساليب الدعوة، ص 181 بتصرف كبير

محمد الغزالي دراسات في الدعوة والدعاة م،س، ص 242

7- صحيح مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث رقم (869)

8- محمد أمير ناشر النعم،خطبة الجمعة بين الواقع والمثال ،مقال منشور برسالة المسجد التي تشرف عليها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر،السنة الأولى العددل الثاني الصادر في سبتمبر2003 نقلاعن رسالة المسجد التي تصدر عن وزارة الأوقاف بسلطنة عمان / العدد سبتمبر 2001صص42،43

9- عبد القادرفضيل،منهجية بناء الخطاب المسجدي، مقال منشور في مجلة رسالة المسجد التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر،العدد 2/ السنة الأولى سبتمبر 2003 ص28

10 - ابن جني الخصائص 1/ 33، تح. الشيخ محمد علي النجار، ط. 1993م

11- ينظر: محمد العبد: الإشارة والعبارة، مكتبة الآداب بالقاهرة 2006م.

12- ينظر: شرح الألفية لابن عقيل/ 9، ط. دار التراث، 2008 م

13- البيان والتبيين تح. عبد السلام هارون ج1/ 78، ط. الخانجي بمصر 1418هـ = 1998م. 213

14 - ينظر:إبراهيم أنيس في اللهجات العربية والقراءات القرآنية/ 9، ط. الأنجلو بمصر 1992م.ص106

15- الحديث في صحيح البخاري كتاب العلم باب كان يتخولهم بالموعظة حديث رقم (68) وانظر فتح الباري 162/1.

16- صحيح البخاري كتاب العلم باب من خص بالعلم حديث رقم (127).

17- راجع في هذا الباب كتاب الدعوة الإسلامية للأستاذ محمد خير يوسف 87، 107 – 114، وكتاب أسس في الدعوة للدكتور محمد أبو فارس 86 – 125 .

18- ينظر قصة الغار في صحيح البخاري كتاب البيوع باب إذا اشترى شيئاً لغيره حديث رقم (2215)، وقصة أصحاب الأخدود في صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق باب قصة أصحاب الأخدود حديث رقم (3005).

19- ينظر عبد المجيد البيانوني، كتاب ضرب الأمثال في القرآن للأستاذ عبد المجيد البيانوني ص 64 – 71

20- سنن الترمذي كتاب صفة القيامة حديث رقم (2485)

21 – صحيح البخاري كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة حديث رقم ، (4372).

22- فتح الباري شرح صحيح البخاري 88/8

23- ينظر محمد حسين فضل الله الحوار في القرآن ص18

24- في مجادلة المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم في معرض دعوته لهم للإسلام ومحاولتهم ثنيه عما يدعو إليه لكتاب دلائل النبوة للأصبهاني 161/1- 162، ودلائل النبوة للبيهقي 203/2 - 207.